مقالاتٌ مجهولةٌ لم يَنْشُرْها في كِتَابٍ

سنواتُ مَحْمُود درويش في مصر (شعرًا وَنَثْرًا)

٢-١

أحْمَدُ الشّهاوي

١

يَذْكُرُ رجاء النقّاش في مقالٍ لَهُ نَشَرَهُ في مجلة "المصوّر" المصرية بتاريخ ٢٢ من كانون الاول ١٩٦٧ ميلادية أنّ لمحمود درويش ديوانًا أوّل عنوانه "للعصافير أجنحة"، ويشير في المقال التالي-بعد أسبوع - أنّ عنوانه "عصافير بلا أجنحة"، وأنه منشورٌ في إسرائيل، وأنّ ديوانه الثاني هو "عاشقٌ من فلسطين"، بينما محمود درويش يُثْبِتُ دائمًا في ثَبَتِ كُتُبِه "أوْراقُ الزيتون" ديوانًا أوّلَ لَهُ، و"عاشقٌ من فلسطين" ديوانًا ثانيًا، فَهَلْ شَطَبَ محمود أو ألْغى عَمَلَه الشِّعْرِيَّ الأوّل، مثلما فعل ذلك عَدَدٌ من الشعراء بعد ذيوع صوتهم، وانتشار اسمهم، وعلى رأسهم أدونيس، عندما تخلّى عن ديوانه الأوّل "قالت الأرض".

٢

لديَّ حنينٌ جارفٌ لأنْ أعُودَ إلى البدايات.
وكم من مرةٍ عُدْتُ إلى بدايات محمود درويش الشعرية والحياتية عبرَ مَلَفِّه في مؤسسة الأهرام، والذي يحمل رقم ١٩٧٨٨، ويتكوّن من ثلاثة أجزاء حتى أواخر ٢٠٠٨ ميلادية. ويبدأ من ١٩٦٧/١٢/٢٢، حيث مقال رجاء النقاش المنشور في مجلة المصوّر بعنوان "مطلوب محاولة عالمية لإنقاذ هذا الشّاعر".
أمّا مقاله الثاني فقد جاء بعد أسبوع واحدٍ من نشر الأول، وعنوانه "لماذا لا تتحدث الدوائر الأدبية والفنية في العالم عن: الشاعر المسجون في إسرائيل؟ مطلوب من المجلس الأعلى للفنون ترجمة دواوين الشاعر الفلسطيني إلى اللغات الأجنبية".
ومن المؤكد أن هناك أشياءً نُشرت عن محمود قبل ١٩٦٧، لكنْ لأنه - كما يبدو-لم يكن اسمه قد ظهر أو برز أو اشتُهِر بالقدر الكافي، فلم يفتح له الأهرام "ملفًا"، إذ اعتاد قسم المعلومات بالأهرام، ألا "يهتم" بأحد، إلاّ بعد أن ينال "قسطًا" من الشهرة والذيوع.
عمومًا، أكدت مجلة "الطليعة"-التي كان يصدرها الأهرام -في نيسان ١٩٦٩ أن محمود درويش حتى عام ١٩٦٩ كان قد أصدر أربعة دواوين آخرها "آخر الليل"، وهذا ما يرجح مسألة الديوان الأول المشطوب أو المحذوف "عصافير بلا أجنحة".

٣

بعد عامين-تقريبًا-من مقالي رجاء النقاش في مجلة "المصوّر"، نشر رجاء كتابه "الشهير" والأول عن محمود درويش في تموز ١٩٦٩، بعنوان "محمود درويش شاعر الأرض المحتلة" عن دار الهلال، وهو الكتاب الذي أرسى دعائم حضور ووجود محمود في مصر، وكذا في بعض البلدان العربية، نظرًا لشهرة رجاء، ومكانة دار الهلال، التي كانت الكتب الصادرة عنها، توزع في كل البلدان العربية وأغلب البلدان الأجنبية (حتى في أمريكا اللاتينية).
وهذا الكتاب-ويا للمفارقة-ما تزال توجد منه نُسخٌ تُباع حتى ٢٠٠٨ في دار الهلال.
والكتاب خلا "من تقييم فنّي لشعر محمود درويش". وهو يأتي بعد دراستين لشعره-وقتذاك-كتبهما غسّان كنفاني ويوسف الخطيب.

٤

حتى أواخر الستينيات كان محمود درويش يعيش وحيدًا في غرفة استأجرها في أحد شوارع حيفا.

٥

وكان محمود أسيرَ غرفته، بعد أن قام القائد العسكري الإسرائيلي لمنطقة الشمال، الجنرال دافيد اليعازر باعتقاله منزليًا وتحديد إقامته جبريًا حتى الأول من شباط من عام ١٩٧٠.
وجاء هذا التجديد في الأول منتشرين الاول عام ١٩٦٩، والذي يقضي بأن يخضع محمود لمراقبة الشرطة الإسرائيلية دائمًا، ولا يغادر حيفا إلى أي مكان آخر، ويُثْبِتُ وجوده في مركز الشرطة في السّاعة الرابعة من عصر كل يوم، ولا يغادر مَنْزِلَه (غرفته) بعد غروب الشمس بساعة وحتى الفجر، بحيث تتمكّن الشرطة من "تفقده" في أي وقت تشاء.
ولم تَلْبَثْ هذه الإقامة الجبرية، وهذا الاعتقال المنزلي، أن صار اعتقالاً في السادس والعشرين من تشرين الاول ١٩٦٩ ميلادية، إثر الانفجارات التي وقعت في مدينة حيفا.

٦

قصيدةُ "غَزَالٌ وَدَمٌ"، كتبها محمود درويش في ايار عام ١٩٧٠ في موسكو ونشرها أوّل مرة في جريدة الأهرام بتاريخ ٣١ من ايار ١٩٧٠، حيث استطاع عبد الملك خليل (مراسل الأهرام في موسكو وقتذاك وإلى سنوات طويلة) أن يحصل منه على القصيدة.

٧

إضافةً إلى قصيدة "غَزَالٌ ودم"، نَشَرَ محمود درويش في الفترة من ١٢ من تشرين الاول ١٩٧١ وحتى الخامس من تشرين الاول ١٩٧٣ تسع قصائد هي: ٤ مزامير (وكانت الرسوم بريشة يوسف فرنسيس)، أغنية البطل اليائس (بريشة يوسف فرنسيس)، سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا (بريشة يوسف فرنسيس)، عودة الأسير المصري - إلى الأسير الشهيد سعيد نصّار (بريشة مكرم حنين)، حوار مع مدينة (بريشة مكرم حنين)، الخروج من ساحل المتوسط (دون رسم)، كأني أحبك (بريشة مكرم حنين)، تأملات في لوحة غائبة (بريشة مكرم حنين)، النهر غريبٌ وأنْتِ حبيبتي (بريشة مكرم حنين).
ولم أرَ في الملفّ قصائدَ أُخْرى لمحمود نَشَرَها في الأهرام خلال إقامته في القاهرة، وعمله في جريدة الأهرام (حيثُ كان يتقاضى راتبًا قدره مئةٌ وخمسون جنيهًا حسبما قال لي).
وأرجح أنّ هذه القصائد (الأهرامية) أو (المصرية) كتبها -جميعًا -في القاهرة.
وقد توفّرت ريشتان لرسّامَيْن من الأهرام لتجسيد شعره وهما : يوسف فرنسيس ومكرم حنين.

٨

يمكن القول إذن إنّ أوّل قصيدة نشرها محمود درويش في مصر وفي جريدة الأهرام هي "غَزَالٌ ودَمٌ".

٩

أما القصائد التي نشرها محمود في مجلة "المصور" فهي ثلاث فقط (وفقًا لما جاء في ملفه)، وهي: أغنيةُ حبٍ فلسطينية (١٩/٣/١٩٧١)، قصائد جديدة لمحمود درويش: عازفُ القيثار المتجول-عابرُ سبيل- خطواتٌ لا تصلُ- المدينةُ المحتلة- رباعياتٌ (١٦/٤/١٩٧١)، تقاسيمٌ على الماء (١٨/٦/١٩٧١).
وقد نشرت القصائد من دون رسوم. ولكنّ واحدةً منها (تقاسيم على الماء) صاحبتها صورةُ مجمود درويش، مثلما حدث في الأهرام إذ نُشِرَت صورتُه مرةً واحدةً مع قصيدته "غَزَالٌ وَدَمٌ". فقد كان "الأهرام" - على ما يبدو-يفضّل نَشْرَ الرسوم المصاحبة للشعر على نشر صور الشعراء.

١٠

ثلاث عشرة مقالة نشرها محمود درويش بالأهرام، في الفترة من ٢ من كانون الأول ١٩٧١ وحتى ٢ من شباط ١٩٧٣ (وظني أن هُنَاكَ مقالات أُخْرى فُقِدَتْ أو ضاعت من مَلَفِّ محمودَ درويش وأنَا بصدد البحث عنها لتوثيق (سنوات محمود في القاهرة مثلما وَعَدْتُه يومًا في الإسكندرية). وأُثْبِتُ هُنَا عناوينها، وهي تتفاوتُ في حجمها بينَ مئتي كلمة تقريبًا إلى حوالي ثلاثة آلاف كلمة: غزة كل يوم، أسئلة بريئة.. إلى الأدباء العرب على هامش مؤتمر الأدباء في دمشق، صورةٌ إسرائيلية- الأبيضُ والأسود، صورةٌ إسرائيلية: لماذا انتهى المؤتمر الصهيوني الأخير بالانشقاق والتضارب - لماذا يلتذذ الإسرائيلي بغش الأمريكيين في المطعم والتاكسي والمتجر-المنفى- الاضطهاد- التوراة الثالوث الذي يشكّل ملامحَ الشخصية اليهودية، معنى القلق في الأدب الإسرائيلي بعد حرب يونيو-أنا وأنت .. والحرب القادمة، عزفٌ منفرد فوق القانون، وضاع الشّعْرُ في البصرة (مع رسم مصاحب لمكرم حنين)، رسالة بيروت: نحن نستمع ولا نقرأ (مع رسم مصاحب لمكرم حنين)، رسالة بيروت: ظاهرةٌ تثير القلق.. من الانغلاق التام إلى الانفتاح التام (مع صورة مصاحبة لجولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقتذاك)، في السابع من يونيو ذكرى سقوط القدس- تنويعاتٌ على سورة القدس، رسالة من هولندا: الشعر يعلن حضوره (مع رسم بريشة يوسف فرنسيس) رسالة بيروت: حتى تصبح يا وطني وطني (مع رسم ليوسف فرنسيس)، شباب عربي وإسرائيلي في قفص اتهام واحد-مقاومة لا تجسس.
إضافةً إلى أنّ "الطليعة" المجلة الشّهرية، التي كان يصدرها الأهرام، كانت قد نشرت في عددها الذي صدر في الأول من أيلول عام ١٩٦٩ مقال محمود درويش الشهير: "خطابٌ مفتوحٌ إلى النقاد والأدباء العرب- انقذونا من هذا الحبّ القاسي".
إضافةً أيضًا إلى رسالةٍ من موسكو كتبها الشاعر الفلسطيني الراحل معين بسيسو، ونشرها بجريدة الأهرام في الخامس والعشرين من كانون الاول ١٩٧٠ على مساحة كبيرة عنوانها:
"القبعةُ هي الكأس والحقيبة هي الوطن" محمود درويش، وفي الحادي عشر من شباط ١٩٧٠ ينشر الأهرام - كما ذكر - "أول حديث مع محمود درويش شاعر الأرض المحتلة" في القاهرة" أجراه معين بسيسو وكان عنوانه: " غيرت موقعي.. ولم أغير موقفي".

محمود درويش و أحْمَدُ الشّهاوي

بعد جريمة اغتيال كامل شياع

مثقفون وناشطون يوجهون نداء للدفاع عن مثقفي العراق

وجه عدد من المثقفين العراقيين نداءً للدفاع عن مثقفي العراق، بعد جريمة اغتيال كامل شياع حمل توقيع اكثر من ٢٠٠ مثقف وناشط عراقي جاء فيه:

بالطريقة نفسها، مسلحون مجهولون يقطعون الطريق ويطلقون رصاصات غادرة، قتل كامل شياع، أحد أبرز المثقفين العراقيين، وأحد أبرز المدافعين عن عراق مدني، حر، ديمقراطي، عادل.
لم يكن كامل أول الضحايا، ولن يكون آخرهم. ولكن الرصاصة الغادرة التي قتلته استهدفت بضربة واحدة حزمة من الرهانات التي يمثلها: المثقف، المعارض السابق للدكتاتورية، صاحب الحلم المدني، الذي اختار العمل من داخل وطنه، رجل الدولة، الخارج على الانتماءات الطائفية والإثنية، العصي على الفساد.
نرى، نحن الموقعين على هذا النداء، أن الدولة التي عمل فيها كامل منذ ٢٠٠٣ مسؤولة عن الكشف عن الجناة الذين سفحوا دم أحد أبرز أبناء العراق، وعن حماية كل فرد عراقي.
لقد أحيا اغتيال كامل شياع النماذج النمطية التي شهدتها أماكن مختلفة في العالم من استهداف للمثقف وتغييب لصوته. غير أن المثقف سيظل، بإصرار، واحدا من صناع حلم العراق.
من جهتنا، نعلن عن تمسكنا بخط الراحل ورهاناته الإنسانية والوطنية، وأننا سنقاوم الرسالة التي أراد القتلة إيصالها، والتي تحاول أن توصل المثقف إلى إعلان استقالته.
من جهة اخرى اطلق عدد من المثقفين العراقيين مبادرة لتشكيل مرصد للدفاع عن مثقفي العراق تحت اسم (مرصد كامل شياع)، الباحث ومستشار وزارة الثقافة، الذي اغتيل السبت الماضي ٢٣ آب/ أغسطس على يد مسلحين مجهولين في بغداد.
وقد جاء إطلاق المبادرة في جلسة استذكار عن الراحل أقامها عدد من أصدقائه المثقفين في منزله في بغداد يوم الخميس. وحضر الجلسة حشد من الأدباء والكتّاب والفنانين والصحفيين ورجال الدولة من أصدقاء الراحل، منهم وزير العلوم والتكنلوجيا رائد فهمي، ومستشار رئيس الجمهورية جلال الماشطة.
وقد صرحت الناشطة النسوية شروق العبايجي بأن "أصدقاء الراحل من المثقفين اجتمعوا في بيته وكأنهم كانوا في ضيافته للمرة الأخيرة".
ورأت الباحثة والناشطة نهلة النداوي "أن جريمة اغتيال كامل شياع هزت المثقفين العراقيين". وأضافت النداوي "أن الكل كان يبحث عن موقف. من هنا، جاءت المبادرة، التي أطلقت من منزل الراحل".

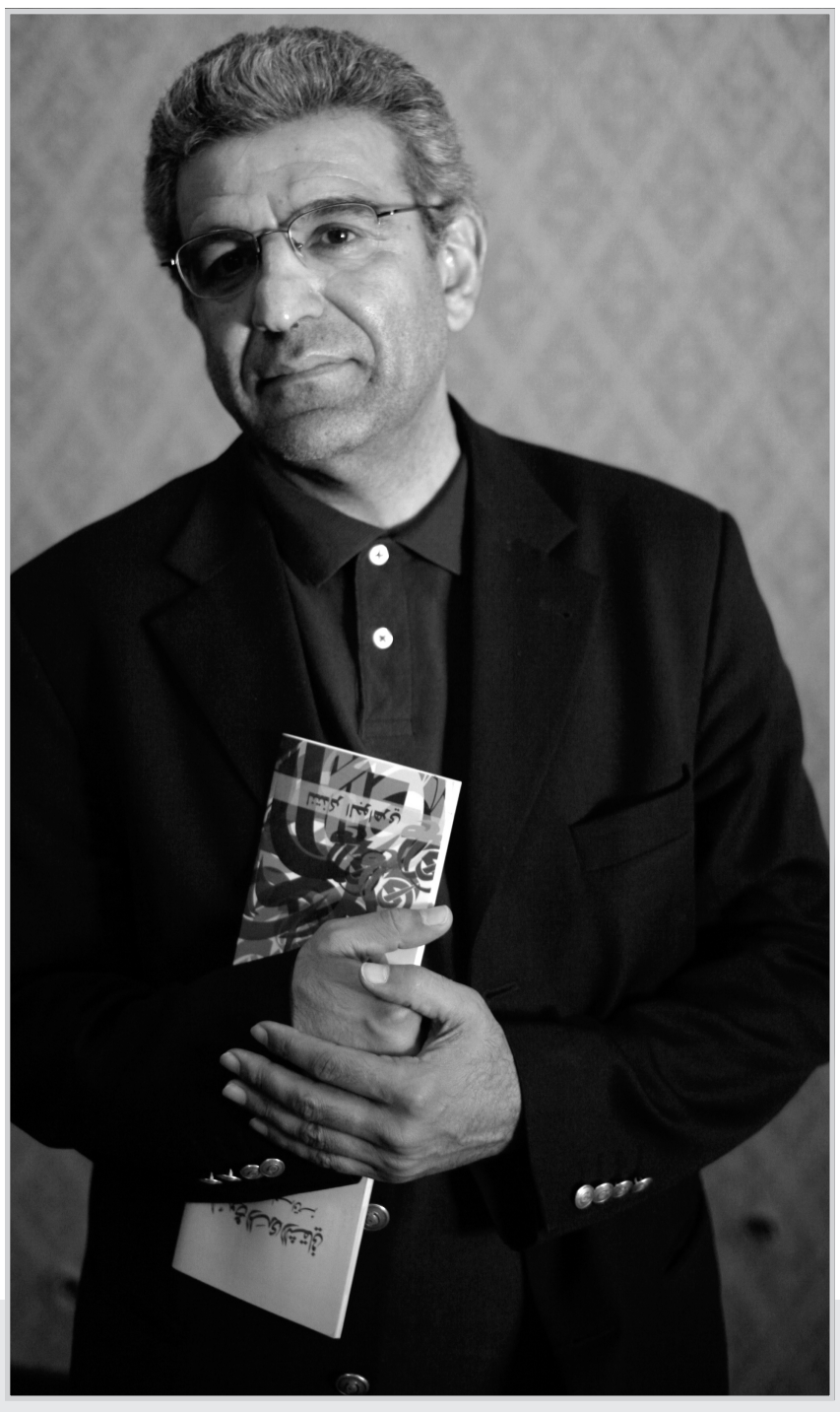

كامل شياع.. اسم لا نملك إلا أن نعجب به

باسم المرعبي

حين وقعت عيناي على العبارة في الشريط المتحرك أسفل الشاشة في قناة "العراقية" والتي تفيد باستشهاد المثقف والباحث كامل شياع صدمت و ذُهلت وذرفتُ دمعة. لم أتعرف على كامل شياع شخصاً و لكن عرفته، وقبل عودته الى العراق بسنوات طوال، عبر كتاباته و أبحاثه فعرفت فيها الإجتهاد و الرصانة فأعجبت بها وأحببتها وحفظت الأسم. و صرت أحرص على قراءة أي نص أقع عليه، موقعاً بإسمه.. وازداد اعجابي و محبتي لصاحبه حين عرفت ان اطروحته للماجستير كان عنوانها "اليوتوبيا كنقد عام" و هو ما يشير الى الآفاق التي ينطوي عليها أو ينشدها تفكير كامل شياع (متمنياً أن يتوفر هذا الكتاب للقارىء العراقي والعربي عموماً). ان كاتباً مثله هو نسغ حقيقي واصل بين عراق الجذور، العراق الذي أهدى العالم الكتابة والرياضيات والفكر والإبداع بمجمله وعراق الغد الذي نتطلع اليه باصرار. و الشهيد بعودته الى العراق يمثل شيئاً من مشروع الثقافة التي ننشدها و التي لابد من انه كان يحلم و يعمل على تحققها حتى أودى به تطلعه هذا وكأنه غدا قرباناً لذلك الحلم. الأسى كبير على غياب شخص مثله و هو مضاعف: فحزن أكيد لفقدانه وخسارتنا له عراقياً صميماً و مفكراً يأسرك لغةً و اسلوباً و طريقة تفكير. و حزن بأنّ يد الإجرام الآثمة اليد الغادرة السوداء ما زالت تسدد و تصطاد خيرة أبناء هذه البلاد المبتلاة. ان عزاءنا يكمن في انّ مثقفاً مثله، حتى بعد رحيله، وبسيرة كسيرته يمكن ان يسهم في انتشال الوطن من "المضي في متاهته التاريخية" كما عبر مرةً في مقال له. لكامل شياع يوتوبيا النعيم و لقتلته الفجرة أحطّ دركات الجحيم.

افتيال حالم .. وحلم

د. خالد السلطاني

قد لا يعي القتلة المأجورون فداحة واقعة اغتيال كامل شياع بمسدساتهم الكاتمة للصوت، الذين بفعلتهم الوحشية اغتالوا انساناً محبا للحياة ومحباً للثقافة، وهو ذاته مثقف رفيع، متعدد الاهتمامات؛ إنسان حالم بوطن تعددي ديمقراطي موسوم بثقافة انسانية، يمكن ان تكون متاحة للجميع. الذي يعرف ذلك جيداً، هو من انتقى، وخطط، وساهم، وأمر بتنفيذ عملية الاغتيال الارهابية، والتى اراد بها تعطيل وعدم تحقيق الاماني المسكون بها كامل شياع؛ هو الذي ربما، يعلم مدى ما كان عند الرجل من مشاريع، تحقيقها يمكن ان يسهم في تجاوز المحنة الحالية التى يمر بها العراق. تلك المشاريع التى اشتغل كامل شياع عليها بدأب واخلاص وباجتهاد مشوب بالتواضع. وهذا وحده يمكن ان يكون باعثاً لدى أولئك القتلة الذين دأبوا منذ عقود وبوحشية ما بعدها وحشية في تكريس ثقافة الموت والتصدي لاصحاب المشاريع التى تخفف عن كاهل الناس البسطاء وتساعدهم في تغيير وضعهم المأساوي..
ولهذا فان الخسارة في اغتيال كامل مزدوجة: خسارة المشاريع التى لم تتحقق، وخسارة انسان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ: الانسان الطيب الرقيق .. والحالم.
كنا نتراسل بين فترة واخرى، بعد ان تعرفنا في احد التجمعات الثقافية، وبالطبع كانت العمارة، التى شعرت مدى اهتمام كامل بها، موضوعاً اثيرا في محادثاتنا الهاتفية المتباعدة. وكان يحدثني عن احلامه "المعمارية"؛ عن "بيت" في بغداد؛ بيت بسيط ولكنه جميل، كما كان يصفه. وعندما يشاهد مثالا معماريا او يعقب على احدى دراساتي التى ابعثها له، تغمره فرحة طفولية، متطلعاً ان يحقق حلمه يوما ما، حلمه المتواضع ببيت مصمم وفق تصوراته ورغباته، لكنه وهو العارف بقدراته المالية، يتواضع، احياناً، ويخفض من "سقف" آماله، مكتفيا بتحقيق مفردة من مفردات "بيت الاحلام"!.
كتب لي يوما، عن مشاهداته لمبنى، كنت قد كتبت عنه بحثاً مطولا، وأعجب بفكرة حلوله ... وتخيلت نفسي- كتب كامل لي- ان يكون لي سكن منفذ بهذه الطريقة البسيطة، لاستعين به من حر بغداد اللهاب الذي لا اطيقه..وما زالت الفكرة تراودني حتى لو اقتصر تنفيذها يوما ما على "قمرية البيت" حيث يمكنني ان اقضي فترة ما بعد الظهر دون مكيف الهواء الذي لم اتعود عليه.
مثل هذه، كانت احلام كامل شياع: بيت بقمرية وبظلال طبيعية!. لكن حتى هذه "الاحلام" لم يتسنَ له تحقيقها ، لم يمنح الوقت لتنفيذها، فالقتلة كانوا في عجلة من امرهم، يرعبهم تحقيق الناس البسطاء لاحلامهم!.
وقبل ايام معدودة فقط من استشهاده، تسلمت منه رسالة بالبريد الالكتروني، تعليقا لمادة لي عن عمارة اصفهان بايران، تزامنت مع زيارته الى تلك المدينة الرائعة الغنية بعمارتها، واطلاعه على ميدانها الشهير، مسجلا انطباعاته عنها،.. قضيت قرابة ساعة في ذلك الميدان ماشياً من اقصاه الى اقصاه، متوقفاً عند جامع عباس شاه، والمنصة العالية وجامع لطف الله المقابل لها، كان الوقت يسبق الغروب قليلاوالرؤية مثالية. اعجبتني جدا ليونة وانسيابية قبة جامع لطف الله والوانها، وسعة الميدان الذي يقال انه كان ملعب بولو، للاسف لم ادخل الجامع لانه كان مغلقا لان اليوم كان جمعة. مدينة اصفهان جميلة بميدانها وشوارعها وجسورها التراثية.. بل بدت لي اكثر رونقا من بعض مدن اوروبا عصر النهضة. لا اعرف لماذا قارنتها بفلورنسا..ولماذا اعتبرتها ابهى منها؟ طبعا حكم النظرة الاولى لا يعول عليه..
بانتظار جوابك.
خاتما بتلك الكلمات رسالته الاخيرة. لم استطع ان ارد عليه، فقد كانت طلقات كاتم الصوت المجنونة اسرع مني!.
لقد اغتالوا حالماً وحلماً... حلمنا جميعاً!.